مجلة المنتدى الأكاديمي (العلوم الإنسانية)
المجلد (7) العدد (2) يوليو 2023
ISSN (Print): 2710-446x , ISSN (Online): 2710-4478
تاريخ التقديم: 2023/05/16 ، تاريخ القبول: 2023/07/09، تاريخ النشر: 2023/08/22

# الأخلاق الإسلامية.. مصادرها وأهم خصائصها

**نورالدين عاشور أحمد الدوكالي**
قسم الفلسفة، الجامعة الأسمرية الإسلامية، ليبيا
aldokalynad@gmail.com

**المستخلص**

إن النقطة المهمة في الأخلاق الإسلامية هي صدورها عن مبادئ أو عقائد ميتافيزيقية متمثلة في "الدين" فإذا كان أرسطو قد استبعد صدور الأخلاق عن الميتافيزيقا وعوّل على الوقائع وجعلها محور فلسفته، وباعتبار أن منهج الأخلاق عنده منهج عملي، فلا مجال للقول باستناد الأخلاق إلى الميتافيزيقا، نقول إذا كان هذا هو الأمر في الأخلاق الأرسطية، فإن أخلاقنا الإسلامية قد انطلقت من الدين وراعت الجانب العملي والخيرات الدنيوية التي تخاطب الإنسان بما هو انسان، فتأسست من ميتافيزيقا الاعتقاد بوحدانية الخالق تعالى واتصافه بمطلق الجلال، ثم قننتْ للواقع العملي المبني على الحسّ والعقل، وهذه الخاصية المركبة هي التي ميزت الأخلاق الاسلامية عمّا عداها من الأخلاق، وهنا تظهر الحاجة الماسة إلى تكثيف الدراسات الأبحاث لخدمة هذه الأخلاق، وبيان ما فيها من الأصالة والشمول.

وعليه فإن الدين بالنسبة للأخلاق لا يمثل اعتقادًا متعلقًا بمصير الانسان فحسب، وإنما يفسر الغاية من الخَلق، ويحدد دور الانسان ككائن أخلاقي في الحياة مؤيدًا ذلك بعناية الله تعالى وتوفيقه، والقرآن الكريم هو أول مصدر للأخلاق الإسلامية، لأنه جمع في سورهِ ما يغني البشر عن النظريات الفلسفية، فإذا كانت المسؤولية هي نتيجة طبيعية للإلزام، فإن الجزاء نتيجة طبيعية لها، فالجزاء يقتضي العدالة وبالعكس، وهما يجعلان للأخلاق معنى وقيمة عُليا، وبدونهما تفقد الأخلاق معناها فتصبح غير مهمة، ولذلك كانت فكرة الجزاء وإلى الآن من الأفكار الأساسية في كل أخلاق لا سيما الأخلاق الإسلامية.

هدفت الدراسة إبراز عرض علمي تحليلي للموضوع إسهامًا في إثراء المكتبة العربية بدراسةٍ أكاديمية مستقلة، في فلسفة الأخلاق، والتركيز على مدى ريادة مفكري الإسلام وعرض الآراء والأفكار الأخلاقية، والفلسفية، والتعرف على المنهجية الأخلاقية عند المسلمين وسأكتفي في هذه الدراسة بعرض وتحليل منهجية الماوردي وابن حزم.

**كلمات مفتاحية:** الأخلاق- الجزاء- الإلزام- الواجبات- المسؤولية- مداواة النفس.

المقدمة:

إن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آل بيته، وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

إن موضوع هذا البحث هو الأخلاق الإسلامية مصادرها وخصائصها، حيث ساد الرأي بين المؤرخين والدارسين أن الفكر الإسلامي يفتقر إلى مذاهب أخلاقية، وعللوا ذلك لسببين رئيسيين هما:

الأول: هو استغناء المسلمين بتعاليم القرآن والسُّنة النبوية عن النظر في المسائل الأخلاقية، ووضع مذاهب وتفريعات فلسفية لا تغني عن العمل والتطبيق، والثاني: أن الأخلاق اليونانية قد غلبت بطابعها على فلاسفة الإسلام، وأقرّوها كما هي، فافتقرت الأخلاق الإسلامية بذلك إلى عناصر الأصالة، والمعاصرة، والابتكار.

إذًا فالأمر يستحق إنصافًا لفلسفتنا الأخلاقية الإسلامية أن تفرد لها بحوثًا جادةً لوضعها في مكانها اللائق بها بين مختلف الفلسفات، فالذي لا شك فيه أنه قد ظهرت في التاريخ الاسلامي فلسفات أخلاقية ذات طابع إسلامي أصيل، منها ما تمثل في تيار علم الكلام أو التيار الصوفي، والنقطة المهمة في الأخلاق الإسلامية هي صدورها عن مبادئ أو عقائد ميتافيزيقية متمثلة في "الدين" فإذا كان أرسطو قد استبعد صدور الأخلاق عن الميتافيزيقا وعوّل على الوقائع المُشاهدة باعتبار أن الواقع هو محور فلسفته، وباعتبار أن منهج الأخلاق عنده منهج عملي محدد، فلا مجال للقول باستناد الأخلاق إلى الميتافيزيقا أو الدين، وليس من شأن الأخلاق أن تبحث في الخير المطلق، نقول إذا كان هذا هو الأمر في الأخلاق الأرسطية، فإن أخلاقنا الإسلامية قد انطلقت من الدين وراعت الجانب العملي والخيرات الدنيوية التي تخاطب الإنسان بما هو انسان، فتأسست من ميتافيزيقا الاعتقاد بوحدانية الخالق تعالى واتصافه بمطلق الجلال والكمال، ثم قننتْ للواقع العملي المبني على الحسّ والعقل، وهذه الخاصية المركبة هي التي ميزت الأخلاق عمّا عداها من الأخلاق، وهنا تظهر الحاجة الماسة إلى تكثيف الدراسات والأبحاث لخدمة هذه الأخلاق، وبيان ما فيها من الأصالة والشمول، والذي نقرر إجمالًا أن الدين بالنسبة للأخلاق لا يمثل اعتقادًا متعلقًا بمصير الإنسان فحسب، وإنما يفسر الغاية من الخَلق، ويحدد دور الإنسان ككائن أخلاقي في الحياة مؤيدًا ذلك بعناية الله عز وجل وتوفيقه، وانا كوني

باحثًا مسلمًا تشغله قضايا الإسلام والمسلمين يعنيني في المقام الأول أن تكون الأخلاق الدينية إطارًا ومذهبًا هي دستور مجتمعنا الإسلامي، والباعث على نهضته وتقدمه.

*أهم المصطلحات والمفاهيم المستخدمة في البحث:

الأخلاق- الجزاء- الإلزام- الواجبات- المسؤولية- القانون- الإرادة- الغاية- الحرية- الواقية- المثالية- تهذيب- نفس- السِمات- المنهج- فضائل- الضمير- السلوك- المواضعة- المروءة- مداواة.

**مشكلة الدراسة:**

إن واقعنا الحاضر يحتم علينا إنصاف الأخلاق الإسلامية وتفنيد الرأي الذي يقول: إن الفكر الإسلامي يفتقر إلى مذاهب أخلاقية تميزه عن غيره من النظريات الفلسفية الأخرى، وكذلك تشويه الأخلاق الإسلامية بالفلسفات الداخلة عليها من الترجمات السابقة لها، وإثبات أن الفلسفة الإسلامية تنبع من معين واحد متمثلًا في الدين (القرآن والسُّنة).

**أهداف الدراسة:**

إبراز عرض علمي تحليلي للموضوع إسهامًا مني في إثراء المكتبة العربية بدراسةٍ أكاديمية مستقلة، في فلسفة الأخلاق، والتركيز على مدى ريادة مفكري الإسلام عرض الآراء والأفكار الأخلاقية، والفلسفية، والتعرف على المنهجية الأخلاقية عند المسلمين حيث سأكتفي في هذه الدراسة بعرض وتحليل منهجية الماوردي وابن حزم.

أهمية الدراسة:

محاولة تبيين وتوضيح الأخلاق الإسلامية من حيث مصادرها، وأهم خصائصها، وكذلك تسليط الضوء على نظرية الأخلاق القرآنية بما فيها من إلزام خُلقي وأسس هذا الإلزام، والمسئولية الأخلاقية ولأنواعها، وكذلك الجزاء وأنواعه، وكذلك فيما يخصّ السُّنة النبوية المطهرة.

المنهجية:

إن طبيعة الموضوع تتطلب مني استخدام المنهج التحليلي المقارن، وبالإضافة إلى ذلك الاستعانة بالمنهج التاريخي الذي يؤدي إلى تحري الدقة العلمية في عرض الآراء، حتى نتمكن من الدخول إلى

أعماق هذه الدراسة، والغوص في جزئياتها، وتحليل ما تشمله من آراء ومواقف، وذلك بالاعتماد على المصادر الأصلية ما أمكن بغية تقديم بحث أكاديمي.

**الإطار النظري:**

سأقوم في هذا البحث بإيضاح أهم مصادر الأخلاق الإسلامية و ستكون على النحو التالي:

أولًا: المصدر الإلهي متمثلًا في القرآن الكريم:

والقرآن الكريم هو أول وأكبر مصدر للأخلاق الإسلامية قاطبًة، وبالرغم من أنه ليس كتابًا فلسفيًا بصفة خاصًة إلا أنه قد جمع في سوره وآياته ما يغني البشر عن أكبر النظريات الفلسفية سواًء منها الصورية أم الوضعية، والقرآن دستور أخلاقي متفرد بأنه المصدر الأعلى للقيمة الأخلاقية نظريًا وتشريعيًا، ولم يصطبغ كسابقه أو لاحقه من المصادر بصبغة يونانية أو شرقية قديمة، بل أتى مهيمنًا على كل هذه المصادر، جمع فأوعى في أصالةٍ وقوة، وأتى بما غاب عن هذه وتلك من النظريات حتى استوفت فيه الحقيقة كل مقوماتها، ولا عجب فالقرآن كلام الله جل جلاله ولا يصلح للبشر إلا قانون خالق البشر، ولكن هل تعرض القرآن الكريم لمصادر الالزام الخُلقي؟.

نعم، لقد تعرض القرآن لمصادر الالزام الخُلقي، وأوضح المسئولية والجزاء، كما أوضح الواجبات والحقوق، وأوضح –أيضًا– النية والدوافع والجهد الأخلاقي، عن الحياة الشخصية وعن علاقة الفرد بأسرته ومجتمعه وخالقه، وأوضح الفضيلة والرذيلة، بل إنه ليس هناك بحث ينتمي إلى الأخلاق إلا وللقرآن نصٌّ فيه، وأحاطه بالشمول، ولكن هنا يستوقفنا سؤال مهم ألا وهو ما هي أسس القرآن الأخلاقية؟.

أ- الأسس الأخلاقية القرآنية:

- الإلزام الخُلقي:

وهنا نلقي الضوء على فكرة الإلزام الخُلقي في القرآن الكريم، وقد اعتمدنا بصفة رئيسة على كتاب الدكتور: محمد دراز، المسمى (دستور الأخلاق الإسلامية في القرآن) وهو كتاب فريد في بابه... أسس فيه المؤلف الأخلاق على قاعدتين مهمتين هما: القاعدة الأولى: أن الحاسة الخُلقية انبعاث داخلي فطري، وأن القانون الأخلاقي قد طُبع في النفس الإنسانية منذ نشأتها اتباعًا لقوله تعالى: ﴿ ونفسٍ وما

سَوَاهَا فألهمها فُجُورها وتقواها ﴾ (الشمس، الآية 8-7) أي على فطرتها: "فَهَّمَها خيرَها وشرَّها، وجعل لها قوة يصحُّ معها اكتسابُ الفجور، واكتسابُ التقوى" (الشوكاني، 1414هـ، 374/7)، غير أن هذا القانون الأخلاقي المطبوع فينا ناقص وغير كافٍ، ليس فقط لأن العادة والوراثة وأثر البيئة والمصالح المباشرة، تفسد نوازعنا التلقائية، وتلقي أنواعًا من الضلال على بصيرتنا الفطرية، وليس فقط لأن شواغل الحياة الدنيا تستوعب الجزء الأكبر من نشاطنا الواعي، بل إن ممارسة الأخلاق في أحسن الظروف الملائمة تواجه صعوبة رئيسة، هي أن الضمير إذا اقتصر على مصادره الفطرية وحدها وهنا عجز الضمير في غالب الأحيان على أن يقدم في جميع الظروف "قاعدًة" ذات طابع عام تستأثر باعتراف الجميع، وهذا هو السبب الذي من أجله يبعث الله عز وجل في الناس من حين إلى آخر نفوسًا متميزًة مُلهمة بالوحي الرباني تزيل الغشاوة عن النور الفطري في النفوس، غير أن هذا التعليم الإيجابي المتمثل في رسالات السماء إلى الأرض لا يُلقى كأمر تعسفي أو تحكمي خالٍ من الصيغة الشرعية، بل مدعوم بميزتين: فهو من ناحية يخاطب ضمائرنا ليحصل على موافقتها، ومن ناحية اخرى يُبرز "المثل الأعلى" في ذاته ليدعم به شرعيته، وهاتان الميزتان شرط ضروري لتأسيس مفهوم "القانون الأخلاقي"، والقاعدة الثانية: أنه لا مكان للأخلاق بدون عقيدة، والعقيدة هنا تتصل بالأخلاق ذاتها، ومعناها الإيمان بالحقيقة كحقيقة قائمة بذاتها "تسمو" على الفرد و"تفرض" نفسها عليه بغض النظر عن أهوائه ورغباته.

ومن هاتين القاعدتين نرى أن الإلزام الخُلقي القرآني يستبعد "الخضوع المطلق" مثلما يستبعد "الحرية الفوضوية" ويضع الإنسان في موضعه الحقيقي بين "المادة" الصرف و"الروح" الصرف، ولقد تضمن القرآن الكريم ثلاثة عناصر للإلزام الخُلقي في الإنسان هي: العقل، والحس، والعاطفة، وأمره بأن يحافظ عليها ويرعاها، فهو يخاطب الإنسان ولا يطلب منه أن يكون نبيًا أو قديسًا كما أنه لا يطلب منه أن يكون حيوانًا شهوانيًا، وإنما يطلب منه أن يجعل للحس دوره، فطلب منه أن يكون عاقلًا تسيطر فيه قوى الخير على قوى الشر، ويتغلب فيه العقل على العواطف الجامحة. كما إن الإنسان في غيبة أي تعليم إيجابي يملك جميع الوسائل الضرورية العقلية والعاطفية لكي يميز ما يفعل مما يدع، وبذلك يكون التشريع للخير والشر أحد شؤون الإنسان ككائن أخلاق حي مريد، وعليه فالقانون الأخلاقي في القرآن يفترض حرية الاختيار، فهو يُكلفنا ولكن لا يقهرنا قهرًا ماديًا، بل إنه يدع لنا أولًا إمكان مراعاته أو مخالفته، وتلك هي القاعدة الأصلية التي يعلنها القرآن دايمًا سواءً فيما يتعلق بواجب الإيمان أم بواجب

الفضيلة العملية، اتباعًا لقوله تعالى: ﴿ من يُطع الرسُول فقد أطاع الله ومن تولَّى فما أرسلناك عليهم حفيظًا ﴾ (النساء، الآية، 8)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرُشدُ من الغي ﴾ (البقرة، الآية: 256)، وقوله عز وجل: ﴿أفأنتَ تُكرهُ الناس حتى يكُونُوا مُؤمنُين﴾ (يونس، الآية: 99)، ولكن ما خصائص الإلزام الخُلقي؟.

*خصائص الإلزام الخُلقي في القرآن:

إن القانون الأخلاقي القرآني يتميز فوق أنه قانون ضروري وشامل بأنه قانون مشروط، وذلك بعكس القانون الأخلاقي عند الفيلسوف الألماني كانت- وهو فيلسوف ألماني ولد في مدينة كونسبرج البروسية، ودرس الرياضيات والطبيعة والفلسفة وقد تأثر بالنزعة العقلية، والنزعة التجريبية، ومن أهم كتبه: تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، ونقد العقل المحض، انطولوجيا الوجود، نقد العقل اللمي، وغيرها من الكتب، وهو القائل: بأن الواجب الأخلاقي يقوم على ضرورة القيام بفعل احترام القانون- (فيصل عباس، 1996م، 136-142) غير المشروط والمتمثل في الواجب، وهنا سؤال يطرح نفسهُ وهو، ما شروط هذا القانون القرآني؟.

أولًا: إمكان العمل: بحيث لا يطلب المستحيل من الإنسان المسلم، اتباعًا لقوله تعالى: ﴿ لا يُكلف اللهُ نفسًا إلا وُسعُها ﴾ (البقرة، الآية: 256)، و ثانيًا: اليُسر في العمل: ويتميز هذا العنصر على السابق بأن الواجب القرآني فوق كونه ليس مستحيلًا -أي: ممكنًا، فإنه قُصد فيه التخفيف والتيسير بصفة عامة، فلم تكن غاية المُشرع في الإعنات والحرج، كما في قوله جل جلاله: ﴿ يُريدُ الهُ بكُمُ اليُسرَ ولا يُريدُ بكُم العُسر ﴾ (البقرة، الآية: 156)، وفي قوله عز وجل: ﴿ يُريدُ اللهُ أن يُخفف عليكُمُ وخُلق الإنسان ضعيفًا ﴾ (البقرة، الآية: 38)، و ثالثًا: تحديد الواجبات وتدرجها: فهناك بين الواجبات القرآنية وتدرجها سلمًا من القيم الإيجابية والسلبية رُتبتّ في علمِ وتنوعت في وفرة، كما إن الكائن الإنساني والإلهي كل ذلك نظام من العناصر المترابطة المتوافقة، وكله قابل للتطور والتقدم، وليس من الممكن أن نغفل أي واحد منها دون تخلخل هذا التناسب العجيب الذي أبدع فيه الإنسان أو نشوهه أو نبتره، والحاسة الخُلقية التي يتطلب ازدهارها هذا المجموع ككل ... أي أنه يجب أن تمارس النفس الإنسانية جميع القيم قبل أن تتخصص في واحدةِ من بينها، وذلكم هو المفهوم الإسلامي للواجب (محمد دراز، 1998م، 21) والذي أكده رسولنا الكريم

صلى الله عليه وسلم بقوله: «إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حقٍ حقه» (أحمد بن حنبل، 1998م، 465/11)، وبهذه الثلاثة الخصائص السالفة الذكر يصبح القانون الأخلاقي القرآني قانونًا عامًا شاملًا وممكنًا إمكانًا عمليًا في نفس الوقت "وذلكم هو شأن الأخلاقية... فلا الصيغة المجردة لقاعدة عامة ولا التحليل الدقيق للحالة الخاصة معزولًا كلاهما عن الآخر يكفي لهداية إرادتنا، وإنما هو تركيب "المثل" الشامل، القادم من "أعلى" مع الواقع الراهن الذي ليس سوى إيضاح وبيان حتى يوجد الدليل الممتاز لضميرنا، فما بين المثل الأعلى والواقع بين المطلق والنسبي، يوجد الضمير الإنساني علامة توحيد يجب أن يستمر في التقريب بين هذين الطرفين، بأن يؤكد رابطةً ما بينهما في صورة العمل الذي يولد من اقترانهما، ويرتدي هذه الصفة المزدوجة التي يمثلها في وقت واحد: ثبات القانون الأزلي، وجدة الإبداع الفني" (محمد دراز، الآية: 21).

ب- المسؤولية الأخلاقية في القرآن: وكما تحقق الإلزام الخُلقي في أكمل صورة من خلال نصوص القرآن فإن المسؤولية الأخلاقية ترتد بدورها في أكمل صورها أيضًا من خلال هذا الدستور العظيم، "فيمكن القول: بأنه في سبيل تحقيق أخلاق كأخلاق القرآن يجب أن تنتهي كل مسؤولية إلى نوع من المسؤولية الدينية أو على الأقل تتبعها، هذه الأخلاق ترى في الواقع، أنه لا الالتزامات الفردية، ولا المؤسسات الاجتماعية بقادرة على أن تكون مصادر للتكليف والمسؤولية إلا بواسطة نوع من تفويض السلطة الإلهية" (محمد دراز، الآية: 21)، ولكن ما أنواع المسؤولية الأخلاقية؟.

- أنواع المسؤولية الأخلاقية:

ونجد أن القرآن قد تضمن أنواع من المسؤولية وهي: المسؤولية الدينية، المسئولية الاجتماعية، المسئولية الأخلاقية المحضة، حيث جمعت كلها في قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين ءامنُوا لا تخونُوا الله والرسُول وتخُونُوا أماناتكم وأنتُم تعلمُون﴾ (الأنفال، الآية: 142)، ثم تنتشر هذه الأنواع الثلاثة في نسيج القرآن المتساند حتى تصبع مسئولية واحدة للإنسان المسلم اتباعًا لقوله عز وجل: ﴿ وأَفُوُا بالعهد إن العهد كان مسئُولا﴾ (الاسراء، الآية: 34)، فمن حيث المبدأ "لا يوجد في الأخلاق الإسلامية تعارض بين واجب المواطن الصالح وواجب المسلم الصالح فكلا الأمرين يتبع نفس القانون الذي يأتي من مصدر تشريعي واحد" (محمد دراز، 1980م، 141-142)، ولكن شروط المسؤولية الأخلاقية؟.

**شروط المسئولية الأخلاقية: ونعرض في إيجاز لشروط المسؤولية الأخلاقية والدينية مستنبطة من آياتي القرآن في الآتي:

1- الطابع الشخصي للمسؤولية: قال جل جلاله: ﴿من اهتدى فإنَّما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضلُ عليها ولا تزرُ وازرةٌ وزر أخرى وما كنا مُعذبين حتى نبعث رسُولاً﴾ (الاسراء، الآية: 15)، قال عز وجل: ﴿لا يجزى والدٌ عن ولدهِ ولا مولُدٌ هو جازٍ عن والِدهِ شَيئًا إنَّ وعد الله حقٌ فلا تغُرنكُمُ الحياةُ الدُنيا ولا يغُرنكم بالله الغرُوُر﴾ (لقمان، الآية: 23).

2- الأساس القانوني: القرآن الكريم يعلمنا أن أحدًا لن يحاسب على أفعالة دون أن يكون قد قسم مسبقًا أحكامها، وقد أوجب الله على أن يعلم الناس قبل أن يُحملهم مسؤوليتهم، لأنه يرى من الظلم تعذيب القرى التي تغفل عن واجباتها لأنها لم تعرفها امتثالًا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ذلك أن لم يكُن ربُك مُهلكَ القُرى بظُلمٍ وأَهلُها غَافلُون﴾ (الانعام، الآية: 131)، وفي قوله تعالى: ﴿وما كُنا مُعذبين حتى نبعث رسُولًا﴾ (الاسراء، الآية: 15).

3- القصدية والإرادة: العمل اللاإرادي يُستبعد بادئ ذي بدء من مجال المسؤولية، وهو ليس عملًا بالمعنى الأخلاقي ولكنه مجرد (حادث)، والمسؤولية ليست مجرد نسبة العمل إلي الإنسان بصفة عامة؛ بل لأبد من وجود صفة مميزة، وهي أن هذا العمل يؤدي إلى استحقاق من الثواب والعقاب، وأنه العمل الذي يكون القصد إليه كاملًا، أي تهدف فيه الإرادة لا إلى الصفات الطبيعية لموضوعه فحسب، وإنما كذلك إلى صفاته الأخلاقية على النحو الذي ما أدركها المشرع.

ويجب أن يكون العمل متصورًا لدى فاعله على النحو الذي أجبز به أو حرم، ومن حيث هو كذلك تماشيًا مع قوله عز وجل: ﴿ربَّنا لا تُؤخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملتهُ على الذين من قبلنا ربَّنا ولا تُحملنا ما لا طاقة لنا بهِ وأعفُ عنا وأغفِر لنا وارحمنا أنت مولانا فأنصُرنا على القوم الكافِرين﴾ (البقرة، الآية: 256)، وعليه فإن الضمير الأخلاقي ذو عناصر ثلاثة هي: المعرفة والإرادة، والعمل يغطيها كلها

المفهوم القرآني، ولا يقتصر فقط على (الإرادة الخيّرة) كما هو الحال عند الفيلسوف الألماني (كانت)، إن النية شرط للمسؤولية ولكنها ليست بأي حال شرطاً كافيًا لهذه أو تلك.

4- الحرية: إن الحرية التي تقوم كشرط أساسي لمسؤوليتنا هي حرية ذات طابع يسيطر على الطبيعة ولا يخضع لسيطرتها، وهي طبيعة "فاعلة" لا "طبيعة منفعلة"، وذلك عكس ما يقول دعاة الحتمية (جميل صليبا، 1982م، 1/142-143) من إن الحرية تؤكدها عدة عناصر جوهرية نذكرها فيما يلي:

**1**- غيبية أفعالنا المستقلة، وهذا ما جاء في قوله تعالى:﴿ إن الله عندهُ علمُ الساعة ويُنزلُ الغيث ويعلمُ ما في الأرحام وما تدري نفسٌ ماذا تكسبُ غداً وما تدري نفسٌ بأي أرض تَموتُ إن الله عليمٌ خبيرٌ﴾ (لقمان، الآية: 34).

**2**- قدرة الانسان على أن يحسِّن أو يفسد كيانه الداخلي، وما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ (الشمس، الآية:9-10)

**3**- عجز جميع المثيرات عن أن تمارس إكراهًا واقعيًا على قراراتنا، فالقرآن يعرض علينا موقف الشيطان –لعنة الله عليه- مع الذين تنكّبوا الطريق السوي تماشيًا مع قوله عز وجل: ﴿ وما كان لي عليكُم من سُلطانٍ إلا أن دعوتُكُم فاستجبتُم لي فلا تلُومُوني ولُوموُا أنفسكم ما أنا بمصرخكُم وما أنتم بمصرخي إني كفرتُ بما أشركتُمُوني من قبلُ إن الظالمين لهم عذابٌ أليمٌ ﴾ (ابراهيم، الآية: 22).

**4**- الإدانة الثابتة والقاسية للأعمال الناشئة عن الهوى أو التقليد الأعمى كما في قوله جل جلاله:﴿ إنهُم ألفوا ءاباءهُم ضآلّينَ ﴾ (الصافات، الآية: 96 -70)

ج: الجــزاء في القرآن الكريم:

إذا كانت المسؤولية هي نتيجة طبيعية للإلزام، فإن الجزاء نتيجة طبيعية لها، والجزاء من حيث إنه أساس أخلاقي له أهمية الأسس الأخرى، بل إن أهميته مزدوجة فهو مهم باعتباره سببًا في التمسك

بالخير الأسمى، فالجزاء يقتضي العدالة وبالعكس وهما يجعلان لأخلاق معنى وقيمة عُليا، وبدونهما تفقد الأخلاق معناها وبريقها فتصبح غير مهمة، وعلى ذلك فإن كانت الحرية تستلزم الجزاء أيضًا، وذلك بصرف النظر عن ماهية الجزاء، وكونه عاجلًا وأجلًا، حيث أن:" نظرة الإنسانية إلى القانون الأخلاقي، وجزاءه على أنهما شيئان لا ينفصلان، فمعظم الأخلاقيين يرون أن الرذيلة تستدعي الألم بطبيعة الحال، كما أن الفضيلة تستدعي السعادة، ولذلك كانت فكرة الجزاء وإلى الآن من الأفكار الأساسية في كل أخلاق"(ج/م، جوير، 1964م، 173) لا سيما الأخلاق الإسلامية، والجزاء هو الحلقة الأخيرة في عناصر الأخلاق القرآنية، والدليل على ذلك "أن القانون يبدأ بأن يوجه دعوته إلى إرادتنا الطيبة، فهو يلزمنا بأن نستجيب لتلك الدعوة وبعد ذلك وبمجرد ما نجيب بكلمة نعم أو لا نتحمل بذلك مسئوليتنا وأخيرًا وعلى أثر هذه الاستجابة يُقوّم القانون موقفنا حياله، فهو يجازيه" (محمد دراز، 1980م، 254) ولكم ما الجزاء وفيم يتمثل؟.

الجزاء يتمثل في أكثر من جزاء منها: الجزاء الأخلاقي، والجزاء القانوني، والجزاء الإلهي... والآن سنوضح كل منها على حده:

أ: الجزاء الأخلاقي: ويتمثل في ندم الضمير أو وخز ضميري مستمر، أو إحساس بذنب يخدش وجدان المذنب، وتحقيرٌ للنفس يجعله يشمئز من نفسه، ومن هذا وذاك تعتريه حالات كئيبة لا تنفرج سريرته ولا سيما في حالات تَذكّر تلك الأفعال الدنية وتلك الآثام او الذنوب التي ارتكبها، أو رضاه كعقوبة أو مكافأة عاجلة كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا ساءتك سيئتك، وسرتك حسنتك فأنت مؤمن» (الحاكم النيسابوري،1990م، 14/1) وعليه فإن للندم أثر طبيعي لصراع الإرادة الطيبة مع وساوس الشر، ولكنه لا يصلح أن يكون جزاء، فالجزاء الأخلاقي الحقيقي يتمثل في التوبة التي تفترض تدخل الجهد لإصلاح تقصير ما اتباعًا لقوله تعالى:﴿ وتُوبوا إلى الله جميعًا أيهُ المؤمنون لعلكُم تُفلحُون ﴾ (النور، الآية: 31) ويقول عز وجل: في صفة المتقين: ﴿ والذين إذا فعلوُا فاحِشةً أو ظلموا أنفسهُم ذكرًوا الله فاستغفروا لذنُوبهم ومن يغفرُ الذنُوب إلا اللهُ ولم يُصرُوا على ما فعلُوا وهُم يعلمُون ﴾ (آل عمران، الآية: 135) .

بل الأكثر من ذلك أثرًا وجزاءً أخلاقيًا أن الفضيلة تؤثر بإعلاء القيمة، وترفع الإنسان من عالٍ إلى أعلى، والرذيلة قبيحة، وبلا غد تجعلنا سطحيين مبتذلين بل إنها تنزعنا من الإنسانية، انظر إلى الأثر الذي تحدثه الصدفة في المؤمن تماشيًا مع قوله عز وجل:﴿خُذ من أموالهم صدقة تُطهرهُم وتزكيهُم بها وصل عليهُم إن صلواتك سكنٌ لهُم واللهُ سميعٌ عليمٌ﴾ (التوبة، الآية: 135) وإلى أثر الصلاة في الإعلاء الخُلقي قوله تعالى: ﴿إن الإنسان خُلق هلوعًا إذا مسهُ الشرُ جزوعًا إلا المُصلين﴾ (المعارج، الآية: 19-22) وانظر إلى الأثر الذي تحدثه الخمر والميسر في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إنما يُريد الشيطان أن يُوقِع بينكُمُ العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصُدُكم عن ذكر الله﴾ (المائدة، الآية: 91) وهذا فيما يتعلق بالجزاء الأخلاقي، فماذا عن الجزاء القانوني؟.

ب: الجـزاء القانوني: فهو المتمثل في إقامة الحدود على مرتكبي الكبائر درءًا للمفاسد والرذائل، وحماية للمجتمع ولأفراده من أن تستباح أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، ولا يكل عن إقامة تلك الحدود أو التعزيزات وهي عقوبات لم ينصّ عليها القانون ويترك تقديرها لحكم القاضي أو ولي الأمر حسب الظروف والملابسات من أثر عظيم في استقرار المجتمع لما تحدثه من ردعٍ للواقعين في المعاصي والرذائل أو لمن تسوّل لهم أنفسهم اقترافها، ولذلك وضع الله عز وجل حدًا صارمًا لجريمة السرقة متمثلًا في قوله تعالى: ﴿ والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديهُما جزاءٌ بما كسبا نكالًا من الله والله عزيز حكيمٌ﴾ (المائدة، الآية: 38) ووضع كذلك حدًا لجريمة الزنا في قوله تعالى: ﴿ الزانيةُ والزاني فاجلِدوا كُل واحدٍ منهُما مائة جلدةٍ ولا تأخُذكُم بهُما رأفةٌ في دين الله إن كُنتم تُؤمنُون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهُما طائفةٌ من المُؤمنين﴾ (النور، الآية: 2) كما وضع حدًا لمن يُفسد في الأرض، ويحارب الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- في قوله عز وجل: ﴿ إنما جزآؤا الذين يُحاربُون الله ورسُوله ويسعُون في الأرض فسادًا أن يُقتلُوا أو يُصلبُوا أو تُقطع أيديهم وأرجُلُهم من خلافٍ أو ينفوا من الأرض ذلك لهُم خزيٌ في الدنيا ولهُم في الآخرة عذابٌ عظيمٌ﴾ (المائدة، الآية: 33).

وفي بحث قيّم عن "أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع يبيّن لنا الدكتور محمد الذهبي أن إقامة الحدود -وهو ما نسميه الجزاء القانوني- لا يمكن أن تتم إلا بتوفير عدة شروط معينة أهمها: أولًا:

تربية صحيحة، ثانيًا: تمكين الفرد من سد حاجاته الإنسانية المشروعة المتمثلة في المشرب، والمأكل، والملبس، والمسكن، وذلك بطرقٍ، ومسالك شرعية تسقط معها كل دعاوى اضطرار، إلا أن نظام الحدود في الإسلام هو حقٌ مقرر للمجتمع الذي يلتزم بالنظام الإسلامي والتحلل من النظام الإسلامي في جملته لا يتسق معه المطالبة بتطبيق الحدود مهما كانت المبررات وراء الدعوة بتطبيقها (محمد حسن الذهبي، 1978م، 27) وحتى تتحقق عدالة الشارع الأعظم في موازنة الحد مع الجناية المسبِّبة له، لم يكتفِ عدل الله تعالى بقصْرِه على الجناية الموجبة له في أغلظ صورها، "وإنما ضم إلى ذلك إعفاء كل ما عساه أن يكون من ملابسات تتقاصر بالجناية عن بلوغ المدى الذي يجعل إقامة الحد على مرتكبها عدلًا مطلقًا لا يمكن التعقيب عليه، وهنا يأتي دور الشبهات جمع شبهه وهي: الالتباس، وشبه عليه الأمر تشابهًا، وفي القرآن المحكم والمتشابه، وهي الشك والارتياب في أي مسألة (الطاهر الزاوي، 1981م، 322) ويصبح درء الحدود بها مصفاةٌ لا يبقى مع إعمالها إلا نماذج شاده من الجرائم والمجرمين ولا مكان للرحمة بهم، ولا لالتماس عذر لهم، أو لتخفيف العقاب النازل بهم" (محمد حسن الذهبي، 1978م، 27-28)، وبناءً على ذلك يراعى في الحدود قدر من الزجر والردع البالغ، فينطوي عنصر العقاب فيها على أقصى ما يجوز في منطق العدل من إيلام مادي ونفسي، ذلك بعد أخذ كافة التحفظات، والاحتياطات في توصيف الجريمة وتكييفها ودرئُها بالشبهات، فيلزم بعد ذلك أن تكون مستوجبة للحد المقرر ازائها في مقابل ما تم إلحاقه من ضررٍ بالنفس والآخرين، إلى جانب ذلك ما تنطوي عليه من إخلال بأمن الناس وحرياتهم وتحد من السلطة التشريعية القائمة، والخروجٍ على أخلاقيات المجتمع السائدة" (محمد حسن الذهبي، 1978م، 27).

ج: الجـــزاء الإلهي: على أن النوعين السابقين من الجزاء لا يكفيان، فلا بد بتعزيز قانون وجزاء ثالث يتمثل في مراجعة نهاية، وشاملة تضع الحق في نصابه، ذلك دور الجزاء الإلهي الذي يستدرك على من لم يشمله الجزاء الأخلاقي أو الجزاء القانوني، أو يستكمل ما لحق الجزاءين من نقصٍ وتقصير، فلا بد أن تكون هناك رجعة للعدالة اتباعًا لأوامر الله كما في قوله تعالى: ﴿أفحسبتُم أنما خلقناكُم عبثًا وأنكُم إلينا لا ترجعُون﴾ (المؤمنون، الآية: 115) والمسلمتان الأساسيتان لضمان هذا الجزاء كما يقرر الدين وتقرر المثالية الكانتية هي مذهب فلسفي ابتدعه الفيلسوف الألماني كانت في القرن الثامن عشر الميلادي في المثالية المتعالية يبقي كانت خبرة الإنسان في الأشياء على أنها مشابهة إلى الطريقة التي تبدو فيها الأشياء ظاهرة بالنسبة لنا (فينومينون) وبشكل يتضمن وجود مكون أساسي مرتكز على

الموضوع أكثر من مجرد اعتبارها نشاط يقوم بالتعامل مع الأشياء، وفهمها بشكل مباشر مجرد كما هي (نومينون) (جميل صليبا، 1994م، 136/2–340) هما خلود النفس ووجود الله تعالى هذا بالإضافة إلى الحرية كمسلمةٍ للفعل، والتي سبق وأن تحدثنا عنها في المسؤولية الأخلاقية، والقرآن تتوتر فيه الآيات الدالة على الجزاء الإلهي بالتواب والعقاب، كما في قوله جل جلاله:﴿ وتلك الجنةُ التي أُورِثتُمُوهَا بما كُنتُمْ تعملون﴾ (الزخرف، الآية: 129) وتماشيًا مع قوله عز وجل:﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارًا أحاط بهم سُرادقها وإن يستغيثُوا يُغاثُوا بماءٍ كالمُهل يشوي الوُجُوه بئسَ الشرابُ وسَاءتْ مُرتفقًا ﴾ (الكهف، الآية: 29)، وإن أمر القرآن تقوم دعائمه على ثلاث أسباب رئيسة مختلفة هي: أولًا: على السلطة التشريعية وحدها، لمن قرر الأمر، والله سبحانه وتعالى جدير أن تكون كلمة أمره مطاعة دون شرط، ودون ما حاجة إلى أي سر آخر، كما في قوله تعالى:﴿وما يذكُرُون إلا أن يشآءَ الله هُو أهلُ التقوى وأهلُ المغفرة﴾ (المدثر، الآية56) وفي قوله جل جلاله:﴿ وتمت كلماتُ ربك صدقًا وعدلًا لا مُبدل لكلماتِهِ﴾ (الانعام، الآية: 115)، وثانيًا: على الشعور بمعيته الحبيبة المهيبة، وهذا الشعور من شأنه أن يحرك شجاعتنا إلى فعل الخير، وإلى أن نفعله على أكمل وجه، كما أنه قادرٌ على أن يدفع دفعًا رقيقًا كل ميولنا السيئة، وثالثًا: على توقع اجراءات الجزاء التي قررها الله تعالى، وإذا وصلنا إلى هذه النقطة فقد بدا لنا منهج التعليم القرآني مرة أخرى في صورة مركبة مزدوجة في تركيبها، إذ تستهدف الحياة الدنيا، والحياة الأخرى معًا وتعلن للإنسان بأن عليه أن يتقبل في كلتا الحياتين الثمن الأخلاقي والبدني والروحي لأفعاله (محمد دراز، 1980، 408–409) ولكن هنا يراودنا سؤالٌ، مهم وهو: ما مكان القرآن بين غيره من النظريات الأخلاقية؟.

* تكامل الأخلاق القرآنية بفضائل متميزة:

إن النظريات الأخلاقية ليست أخلاق لذة أو منفعة أو سعادة أو كمال، ليست هذه النظريات كلها بقادرة على أن تُنشئ مبدأ شاملًا شمول النظريات القرآنية، وذلك لأن شريعة القرآن شريعة توصي "بالعدل"... و"الرحمة" معًا، وتتواثق بها العناصر "الفردية" و"الاجتماعية" و"الإنسانية"، و"الإلهية"، على نحو متين إلاّ أُن أم الفضائل في هذا البناء الأخلاقي هي "التقوى" التي لم تكن غير الاحترام البالغ

العميق للشرع، وبذلك تحققت لدينا فكرة الواجب في معناها الأسمى، وقد اكتسبتْ عنصرًا جديدًا أخرجها عن ذاتيتها المطلقة عند الفيلسوف الألماني "إيمانويل كانت" وهو العنصر الإلهي.

كما أن فكرة الواجب هنا مطروحة هذه المرة على الصعيد العاطفي كمحرك للإرادة، وعلى هذا الصعيد يبدو لنا "الاحترام" في المركز بين شعورين متطرفين يركبهما، ويلطفهما وهما: "الحب" و "الخوف"، فينتج من تركيبهما خُلقُ "الحياة"، وهو عنصر "محرك" للإرادة، وكابحٌ للهوى في آنٍ واحد، وما أكثر ما أحتوى عليه النسيج القرآني والسنة النبوية المطهرة على مدلولات هذا الحياء، وعليه فإن الأخلاق القرآنية تستهدف المثل الأعلى متمثلًا في الله تعالى، إنما تعهد إلى تجميع كل القوى وكل أشكال الحياة الأخلاقية وتوجهها توجيهًا صحيحًا، وبناءً كما أنها تميزت بحفظ كرامة الشخصية الإنسانية وقيمتا الأخلاق بدلًا من أن تحولّها إلى مجرد آلة (محمد دراز، 1980، 408) ولو افترضنا أن الإنسانية سوف تبقى أبدًا، وأنها سوف تغيّر ظروفها إلى ما لا نهاية فإننا نُؤَمَّل أن تجد في القرآن أني توجهت قاعدة لتنظيم نشاطها أخلاقيًا ورحمة للضعفاء ومثلًا للأقوياء، وأدنى ما يمكن قوله في هذا الصدد هو: أن الأخلاق القرآنية تكفي نفسها بنفسها على وجه الإطلاق فهي: "أخلاق متكاملة" (محمد دراز، 1980، 408-409) وهذا فيما يتعلق بالمصدر الأول، ولكن ماذا عن المصدر الثاني، وفيما يتمثل؟.

ثانيًا: السُّنة النبوية تُجسِّد الأخلاق القرآنية:

والسُّنة النبوية تُعد المصدر الإلهي الثاني، وعليه فإنها نهاية النهايات، وأكمل الدرجات في الأخلاق النظرية، وهي مثال "الخير الأسمى"، ومثال الخير الأسمى يُعد جِماع، وتجريد، وتنقية لكل الخيرات النسبية الأخرى سواء ما اتصل منها بمفهوم "اللذة" أو "المنفعة" أو "السعادة" أو ما شاءت المذاهب الأخلاقية أن تسمية غير ذلك، فإذا قدّرنا أُنمودجًا عمليًا محسوسًا في حياة البشر، فهو ولا ريب أنموذج الأخلاق العملية في النبوة الخاتمة، ولا نعني به أن يكون الكمال في إطلاق المعنى، ولكنه "التكامل" حيث لا عنها الإطلاق إلا تحققها في الواقع الملموس.

وقد جمعت بين كونها متحققة في الواقع، بيد أنها صورة الخير الأسمى المتعالي، وسيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم– النبي الأعظم هو أنموذج النماذج الأخلاقية على وجه الإطلاق، فإذا كانت الخاصية تجنح بالإنسان في عمومه إلى خُلقٍ حميد بعينه، فإن أخلاقية النبي الأعظم–صلى الله عليه وسلم– هي أخلاقية الأخلاقيات التي جمعت فأوعت ولم تفرِّط في شيء، إنها الصورة بكامل أبعادها وألوانها، حيث لا يكون بعدها زيادة لمستزيد، ونحن واقفون عند حدنا حين ندرك قصور الأداة في رسم

صورة لهذه الأخلاقية العظمى التي تلخّصت في كلمات، هي: « كان خلقه –صلى الله عليه وسلم– القرآن» (البخاري، 1422هـ، 10/8) والقرآن دستور أخلاقي، لذا قال –صلى الله عليه وسلم– في غاية بعثته: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق (أحمد في مسنده، 1998م، 512/14) وقال – صلى الله عليه وسلم – في تقييم الأخلاقية في منهج الإنسان: "إن أفضل ما يوضع في الميزان يوم القيامة الخُلق الحَسن» (الطبراني، 1983م، 255/24) فالإسلام يعتبر الإيمان الحقيقي مجسدًا في حُسن الأخلاق، وحين سأل بعضهم الرسول – صلى الله عليه وسلم– عن حُسن الخُلق قال: «يا عقبة، ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة: أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن لمك ألا من أراد أن يمد في عمره ويبسط في رزقه ، فليصل رحمه» (الحاكم النيسابوري، 1990م، 161/4)، وانظر إليه حين يضفي على العمل والسلوك صبغته الأخلاقية التي بدونها لا يعتد به حيث قال –صلى الله عليه وسلم– في ذلك: «ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن، فلا يعتدن بشيء من عمله: تقوى تحجره عن معاصي الله ، وحلم يكف به السفيه، وخُلق يعيش به في الناس» (الطبراني، 1983م، 244/12).

ولنلقِ نظرة الآن على خصائص البناء الخُلقي في السُّنة النبوية المشرفة، فعن طبيعة الإلزام الخُلقي يتبين لنا أن له مصدرين هما: **الأول:** المصدر الفطري الداخلي في الإنسان كما في قول رسولنا الكريم –صلى الله عليه وسلم–: «إذا سرتك حسنتك، وساءتك سيئتك، فأنت مومن» (الحاكم النيسابوري، 1990م، 14/1) وقوله– صلى الله عليه وسلم–: «استفت نفسك، استفت قلبك يا وابصة ثلاثًا: البر ما أطمأنت إليه النفس، وأطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك» (الدارمي، بدون تاريخ، 189/1)

المصدر الثاني: التشريع الإلهي المبلغ عن طريق النبوة قرآنًا وحديثًا:

لقد قال –صلى الله عليه وسلم–: «إن الله عز وجل فرض فرائض، فلا تضيعوها، وحرم حُرمات فلا تنتهكوها، وحَّد حُدُودًا، فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء من غير نسيان، فلا تبحثوا عنها» (الدار قطني، 2004م، 325/5) وقال –صلى الله عليه وسلم– كذلك: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهُو ردٌّ» (البخاري،1422هـ، 2675/6)، ومن هذا المنطلق فإن المسؤولية الأخلاقية في السُّنة النبوية: تنتهي كما في القرآن الكريم إلى نوع من المسؤولية الدينية أو تتبعها، كما في قول رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم–: «الصُلح جائز بين المسلمين،

إلا صُلحًا حرم حلالًا، وأحل حرامًا، والمسلمون على شروطهم إلا شرطًا حرم حلالًا، أو أحل حرامًا" (الحاكم النيسابوري، 1990م، 101/4).

وتتنوع هذه المسؤولية، وتتسع رقعتها لتشمل العلاقة بين الإنسان وربه تعالى، والعلاقة بين الإنسان ونفسه، ثم علاقته بالمجتمع من حوله تماشيًا مع قوله –صلى الله عليه وسلم–: «إن لنفسك عليك حقًا، ولربك عليك حقًا، وإن لأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حقٍ حقه» (أحمد بن حنبل، 1998م، 465/11) وقوله –صلى الله عليه وسلم–: «كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير راعٍ على رعيته، وهو مسؤول عنهم، والرجل راعٍ على أهل بيته، وهو مسؤولٌ عنهم، والعبد راعٍ على مال سيده، والمرأة راعية على زوجها، ومسؤولة عنه» (البخاري، 1422هـ، 31/7) بل إنه يضع الأساس الإلهي للمسؤولية حين يقرر رسولنا الكريم –صلى الله عليه وسلم– بقوله بأنه: «رُفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المبتلى (المجنون) حتى يبرأ، وعن الصبي حتى يكبر (يحلم » (النسائي، 1991م، 156/6).

وهو –أيضًا– يضع الأساس الأخلاقي لتوقيع الجزاء الإلهي.. فيستثنى منه الأعمال التي تصدر عن نية صاحبها وارادته حيث نصّ الرسول –صلى الله عليه وسلم– على أن: «إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» (الطبراني،1415هـ، 52/2) وهو يزيد الأمر تعظيمًا لدور النيّة وتوقف قيمة العمل عليها بقوله –صلى الله عليه وسلم–: «إنما حكم الحاكم فأجتهد، ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فأجتهد، ثم أخطأ فله أجر» (البخاري، 1422هـ، 2676/6) وعليه فإن النية محلها قلب المؤمن، وهو محل نظر الله عز وجل وتقييمه حيث يقول –صلى الله عليه وسلم–: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (ابن ماجة 1986م، 255/5) وهنا سؤال يطرح نفسه ألا وهو: ما سِمات الأخلاق في السُّنة النبوية؟.

بالإضافة إلى ما سبق من خصائص فإن الأخلاق في السُّنة النبوية تتسم بعدة سِمات مهمة منها:

أولًا: أنها أخلاق عملية من الدرجة الأولى: فهي "لا تقوم على التحليلات النظرية، أو المجادلات استدلالية العقلية الموغلة، أو التشققات، والتفريعات التأملية الموهمة، وإنما كانت العناية بالتطبيقات والممارسة الفعلية" (محمد كمال، 1986م، 180–181) فالدّين معاملة، وهذا ما شاع بين الناس قولهم

"الدّين معاملة" وإن كانت ليست حديثًا نبويًا –كما يعتقد بعضهم– لكنها مقولة صحيحة تجري مجرى الامتثال، وهي تدل على قيمة الأخلاق في حق المسلم، وهو مما تظافرت النصوص بهذا الشأن لتأكده والحث عليه، وانظر إليه وهو يقّيم درجات الخير بحسب ما يبذل فيه من العمل قدر الاستطاعة: يقول –صلى الله عليه وسلم–: «على كل مسلم صدقة، قالوا: فإن لم يجد ؟ قال: فيعمل بيده، فينفع نفسه، ويتصدق، قالوا: فإن لم يستطع، أو لم يفعل؟ قال: فيعين ذا الحاجة الملهوف، قال: فأمر بالخير، أو يأمر بالمعروف، قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: فيمسك عن الشر، فإنه له صدقة» (البخاري، 1422هـ،2241/5) وغيرها من النصوص التي تؤكد على أن دين المسلم الحقيقي يظهر في الخُلق الحسن عند التعامل بين الناس، وينادي بأن أفضل الناس أنفعهم للناس، بل لا تكاد تخلو فضيلة أخلاقية دعا إليها جانب عملي اجتماعي وإنساني مشرف.

ثانيًا: اليسر والسهولة ومراعاة الواقع العملي للإنسان: فإنه يقرر هذا المبدأ في الممارسة بقوله –صلى الله عليه وسلم–: «لا ضرر ولا ضِرار» (ابو داود، 1997م، 478/5) وهو ينبذ التعصب الشديد وإعنات النفس تزيدًا وتطرفًا فيقول –صلى الله عليه وسلم–: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكني أصلي، وأنام، وأصوم، وأصلي، وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي، فليس مني» (مسلم، 1989م، 1020/2)

ثالثًا: الرؤية الواضحة للغاية، والهدف من السلوك الخُلقي: ويقظة الضمير في تطبيق أمر الله تعالى بأمانة وإخلاص فيقول –صلى الله عليه وسلم–: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة» (الترمذي، 1977م، 668/4) وفي قوله –صلى الله عليه وسلم–: «الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن أتقى المشتبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراعٍ يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا إن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» (ابن ماجة، 1986م، 1318/2)

رابعًا: التأكيد والحفاظ على الكرامة الإنسانية: وهي غاية في ذاتها وليست وسيلة لغيرها، فالرسول –صلى الله عليه وسلم– لا يعرف فضلًا لإنسان على إنسان إلا بالتقوى والعمل الصالح (عثمان آمين، الجوانية، 1964م، 218–219) والدليل على ذلك قوله: «إن ربكم واحدٌ، وأباكم واحد، ولا فضل لعربيٍ على عجمي، ولا لعجمي على عربيٍ، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى»

(الطبراني، 1415هـ، 462/10) وقوله –صلى الله عليه وسلم–: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كُربة، فرج الله بها كُربة من كرب يوم القيامة، ومن سر مسلمًا، سره الله يوم القيامة» (البخاري، 1422هـ، 2550/6)، وقوله –صلى الله عليه وسلم–: «المسلم على المسلم حرام دمه، وماله، وعرضه، المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله (مسلم، 1998م، 10/8) وقوله –صلى الله عليه وسلم– أيضًا: «من لطم مملوكًا أو ضربه حدًا لم يأته، فكفارته أن يعتقه» (البخاري، 1422هـ، 1804/4) ولئن تكن دعوة الرسول –صلى الله عليه وسلم– تعترف بما في الإنسان من قصورٍ، فإنها تجاهد لإيقاظ وعيه وتسعى إلى إصلاح عيوبه وتراعي حدود إمكانية وتراضي مطالب حسه، وقلبه وعقله، فتوائم بذلك بينها وبين القيم الإنسانية الخالدة قيّم الحق والخير والجمال (عثمان آمين، 1964م، 221).

المبحث الثاني: خصائص الأخلاق الإسلامية

*الأخلاق الإسلامية والبُعد الإنساني (الطبيعة الإنسانية)

إن أهم ما يميز الأخلاق الإسلامية على غيرها من الأخلاق قديمها وحديثها هو أنها أخلاق إنسانية وأخلاق عملية في الوقت نفسه، وقلّ من الفلسفات الأخلاقية مما سبق الإسلام أو جاء بعده ما عنى بهاذين الجانبين، أو توفر على وضعهما في إطار نظرية متكاملة ناهيك عن التطبيق.

وعليه فإن الأخلاق الإسلامية ذات منهج إنساني من الدرجة الأولى، يتناول الإنسان من جميع جوانبه، عقلية وحسية وعاطفية ويشرع له مخاطبًا هذه الجوانب جميعًا من غير افراط ولا تفريط، ثم ينبثق هذا المفهوم إلى الواقع الإنساني بديناميكية العمل الأخلاقي الذي ينأى عن الصورية المتشددة من ناحية، ويرأب بالقيم أن تطمسها التجريبية المتطرفة من ناحية أخرى، ولو أخذنا الفلسفة الأخلاقية اليونانية في أزهى عصورها لوجدنا أنها لم تكن فلسفة إنسانية بالمعنى الأشمل لهذه الكلمة، فضلًا عن أنها لم تنشأ نتيجة لحاجة الإنسان إلى صبغ عملية لقضاياه الأخلاقية، فهي لم تكن فلسفة إنسانية لأنها لم تكن لجميع الناس على حد سواء، بل إن السعادة عنده لا يتمتع بها إلا الحُكماء العارفين، أما عامة الناس فلا، ومن هنا يتبيّن لنا كيف خاطبت هذه الفلسفة في غالب اتجاهاتها العقل وأغلقت الواقع من حيث هو ملك للناس جميعًا لأنهم لا قدرة لهم على التأمل.

أما الأخلاق الإسلامية فبالرغم من احتفاظها بالمثل الأعلى الأخلاقي متمثلًا في الدين، فإنها تتغلغل في أبسط شؤون الإنسان الدنيوية، إنها أخلاق دين ودنيا، فالخير فيها يمتد إلى الخير الأسمى أو الله جل جلاله، وهي تحدد أولًا السلوك الإنساني في هذه الحياة، في هذه الحياة، وبالتالي فهي أخلاقٌ عملية، وإن ما يهم المسلم فيها هو: ماذا أفعل...؟، لا؛ ماذا أعرف..؟، ومنطق العمل يختلف عن منطق المعرفة، فالمعرفة تستعين بالعمل لتعريف الأشياء، أما العمل فهو يستعين بالإرادة من أجل تحديد الغاية والوسائل (نازلي اسماعيل، 1987م، 145) وهكذا يتمثل سلطان الواجب بطابعه الخاص فهو لا يقهر الجوارح ولا يكره المدارك، ولكن يفرض نفسه بخاصة على الضمير.

*الأخلاق الإسلامية بين النظر والعمل:

وهذه النزعة العملية هي التي جعلت المسلمين يرون أن العلم بالخير والشر يُطلب للعمل على وفقه وإلاّ فلا خير فيه، ولقد قالوا: "لولا العمل لم يُطلب العلم، وإن الأمة الإسلامية إنما نالت الخيرية كونها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر مع إيمانها بالله تعالى، فقال عز وجل: ﴿كنتُم خير أُمةٍ أُخرِجت للناس تأمُرُوا بالمعرُوف وتنهون عن المُنكر وتُؤمنُون بالله﴾ (آل عمران، الآية: 110) ويفهم من ذلك أن الإيمان الواجب لا يحصل إلا لمن هذه صفته، ويفهم منه –أيضًا– أن الرحمة لا تحصل إلا لمن قام بهذه الأمور جميعًا، وتدل الآية الكريمة على أن واجب الحسبة والدعوة ليس خاصًا بل هو عام للرجال والنساء كلٌ حسب قدرته وعلمه، وذهب المعتزلة (الشيبي زين العابدين، 1977م، "الأصول الخمسة عند المعتزلة وموقف السلفيين منها"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، ص14) إلى أن الإيمان قولٌ مبنيٌ على يقين وعمل، وبذلك فهموا العلاقة بين المعرفة والعلم، وبين العمل على أنها علاقة العلة بالمعلول، فإذا عرف المرء الخير من الشر، وكان واجبًا عليه أن يختار لنفسه كان لزامًا عليه كذلك أن يحاسب نفسه (محمد يوسف، 1953م، 189–190) وعليه فإن الحياة الإنسانية المثلى لا تتحقق في نظر الإسلام إلا إذا اتسمت بالسمة الأخلاقية الأصلية، وهي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال الغزالي: "هو القطب الأعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله تعالى له النبيين –عليهم السلام– ولو طُوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلّت الديانة، وعمت الفترة وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد وقد ظهر ذلك في كثير من البلاد، ومن أهم أسباب ذلك ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاستهانة به، وما يُلقن الناس من أعذار فاسدة للتهاون في شأنه" (الغزالي، 2007م، 306/2)، ثم إن العبادات الإسلامية في

حقيقتها تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، وكل متأمل في الأديان لا بد أن يلاحظ أن الفرائض الدينية التي شرعها الإسلام ذات وشائج قويه تربطها بمبادئ الأخلاق التي تحقق كرامة الإنسان (عثمان آمين، 1964م، 189-190) ولكن ما مسلمات الأخلاق الإسلامية؟.

*مُسلمات الأخلاق الإسلامية:

وعند الدكتور عثمان آمين أن الأخلاق الإسلامية تقوم على مسلمتين مهمتين هما:

أولًا: كرامة الإنسان: فالقرآن ينصّ صراحة على تكريم الإنسان وتفضيله على كثير من مخلوقات الله تعالى تماشيًا مع قوله عز وجل: ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهُم في البر والبحر ورزقناهُم من الطيبات وفضلناهُم على كثيرٍ ممن خلقنا ﴾ (الاسراء، الآية: 70) ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ....خلقناهم تفضيلًا، فالإنسان قد وهب مكانًا مرموقًا يقضي علينا باحترام شخصيته، والنظر إليها على أنها غاية في ذاتها ولا يمكن أن تكون لغيرها.

ثانيًا: الحرية والشعور بالمسؤولية: فمكانة الإنسان السامية قد استتبعت أن يكون قادرًا على اختياره مسؤولًا عن العمل، وإقرار الحرية وإقامة المسؤولية أمران خطيران منصوص عليهما في القرآن الكريم والحديث الشريف يقول تعالى: ﴿ من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضلَّ فإنما يضلُ عليها ولا تزر وازرةٌ وزر أُخرى وما كُنا مُعذبين حتى نبعث رَسُولًا ﴾ (الاسراء، الآية: 15)، ويقول -صلى الله عليه وسلم-: «من رأى منكم منكرًا . . . وذلك أضعف الإيمان» (مسلم، 1998م، 50/1)، والنصوص أكثر من أن تحصى في هذا المقام، مما يوقفنا على مدى اهتمام الإسلام بحرية الإنسان التي يستتبعها مسؤولية في العمل المخلص، إذ لا خير في إيمان لا يتبعه عمل، كما أن غالب هذه النصوص يوكد على أن قوام الدين صدق العزم، وبذل الجهد، واخلاص العمل لما يكون لذلك من أثر فعّال في إصلاح النفس، وحُسن المعاملة.

*الأخلاق الإسلامية بين المثالية والواقعية:

يتبيّن لي من ذلك أن الأخلاق الإسلامية مثالية واقعية معًا: ففضلًا عن أنها أخلاق "إنسانية" بالمعنى الدقيق، لا تفضيلًا لإنسان على انسان إلا بالتقوى الحقيقية التي يعبر عنها العمل الصالح، تماشيًا مع قول رسولنا الكريم-صلى الله عليه وسلم-: «يا أيها الناس ألا إن ربكم واحدٌ وإن أباكم واحدٌ ألا لا فضل لعربيٍ على أعجميٍ ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى» (أمد بن حنبل، 1998م، 411/5)، وتسوي بين الجميع في الحقوق والواجبات، فإنها لا تهبط بنوازع الإنسان إلى مستوى المنفعة أو اللذة

الحسية، بل ترسم له المثل الأعلى في كل لحظة من لحظات الاختيار، لأن مراهنة الإنسان على وجوده لا تصدر عن العبث أو الهوى، وإنما عن ثقة الإنسان بالله تعالى وشعوره الواعي بقيمة الرسالة الإنسانية على الأرض (عثمان آمين، 1964م، 189-190) وحول امتزاج مثالية الإسلام بالواقعية في تأسيسه لأخلاق، ننقل بإيجاز رأي الدكتورة نازلي إسماعيل حسين فيما يأتي (نازلي اسماعيل، 1978م، 147-148):

1- آداب السلوك، وما تتسم به هذه الآداب من تواضع وحب الآخرين.

الفضائل المتمثلة في العبادات، فليست العبادات شعائر وطقوس فحسب، فالصلاة تطهير النفس تقتضي البعد عن الرذائل، والصوم ليس حرمانًا مؤقتًا من الطعام والشراب، ولكنه تسامي بالنفس عن شهواتها ونزواتها، وكذلك الصدقة ليست ضريبة ولكنها باعث للرحمة والألفة بين الطبقات، وكذلك كل عمل صغير أو كبير في الإسلام هو صدقة إذا قُصِد به وجه الله تعالى.

النفس أرض بوار بغير الإيمان، فإذا انغرس فيها الإيمان احتاج إلى الخُلق الكريم، فالإيمان بذاته لا يجعل الإنسان فاضلًا، وإنما بالأخلاق يكتمل الإيمان، وبالإيمان تقوى الأخلاق؛ وغاية الإسلام من الأخلاق هو العمل الخيّر وغرس بذوره في هذا العالم.

لا يجادل الإسلام في طبيعة الفضائل كما يفعل اليونانيون، إنما هو يُرسي قواعد الأخلاق على الفطرة والطبيعة الإنسانية؛ ومن هنا كان الإصلاح النفسي هو الدعامة الأولى للأخلاق، والإسلام يرى أن الفطرة الإنسانية طيبة وخيّرة وهي واحدة في الناس جميعًا فوجب بذلك أن تكون الأخلاق واحدة للإنسان كلها.

لا يكفي أن تعرف النفس الإنسانية الخير لتكون خيّرة، وإنما لا بد من المجاهدة لإنقاذ الفطرة من نزواتها وميلها إلى الشر أحيانًا. والفضيلة لا تتكون في النفس فجأة وإنما تكون على مراحل، لذلك وجب تهذيب هذه النفس وحثها على الفضيلة.

الباعث الأخلاقي في الإسلام أمران مهمان هما: مخافة الله، وحبه سبحانه وتعالى فالخوف هو الأنسب للنفس الأمارة بالسوء لفعل الخير في حين أن حب الله عز وجل هو دافع النفس الطيبة إلى الفضيلة.

لقد كان هذا العنصر الأخير هو محور قيام الأخلاق الإسلامية كلها، وأعني به القيام الأخلاق على الدين وليس العكس، فمفكرو الإسلام على اتفاق في إقامة المبادئ الخُلقية على أساسٍ من الإيمان بالله تعالى على نحو ما ورد بالقرآن الكريم، وهوما ليس له مكان عند ارسطو لأن الله جل جلاله عند ارسطو هو المفهوم الأعلى للوجود أو هو جنس فوق الأجناس يعيش في غبطة وسعادة لا يهتم بالوجود ولا يشرِّع للبشر، وعلى عكس أرسطو ذهب "كانت" الذي أقام مبدأه من الواجب على ثلاث

مسلمات، هي الاعتقاد في حرية الإرادة، وخلود النفس، ووجود الله تعالى (توفيق الطويل، 1979م، 160-161)، لكن الأخلاق عنده تقوم على مبدأ "استقلال الإرادة" فكان طبيعيًا أن يرفض كل نزعة فلسفية تقيم الأخلاق على مبدأ السلطة الإلهية، أو على إرادة أي كائن علوي كائنًا من كان ما دام من المستحيل أن نُخضع القانون الأخلاقي لأية سلطة خارجية تعدو الإرادة البشرية، وهذا السبب في أن "كانت" يرفض تمامًا تأسيس الأخلاق على الدين بل يذهب الى أن الدين نفسه لا يمكن أن يقوم إلا على الأخلاق (زكريا ابراهيم، 1972م، 216)، أما مفكرو الإسلام فقد حرصوا على الاعتقاد في أن الأخلاق لا تستقيم قط بغير الإيمان بالله وصفاته التي صدرت عنها المبادئ والاعتقاد في خلود الروح وعقبى الدار، بل ذهبوا إلى كمال الأخلاق إنما يكون بالتخلّق بأخلاق الله سبحانه وتعالى لأن في الذات الإلهية تجتمع كل الكمالات القصوى، والله تعالى يجمع بين الرحمة والمحبة من ناحية، والقوة والجبروت من ناحية أخرى في تعادل وتوازن تماشيًا مع قوله عز وجل: ﴿ولهُ المثلُ الأعلى في السمواتِ والأرض وهُو العزيزُ الحكيمُ﴾ (الروم، الآية: 27).

*بدايات المنهجية الأخلاقية عن المسلمين:

منذ أن بدأ جمع السُّنة وتدوينها، أخذ المسلمون في دراسة الأخلاق نظريًا ومنهجيًا فألفت في بادئ الأمر كتب في المواعظ أُريد بها أن تحث الناس على مكارم الأخلاق عن طريق التأثير في المشاعر وترغيب القلوب، وكانت طريق هذه المؤلفات أن تبدأ ببعض الآيات القرآنية الداعية إلى مكارم الفضائل، ثم يُتبع المؤلف ذلك بما تسنى له جمعه من الأحاديث النبوية، أو أقوال الصحابة والتابعين، مذيلًا كل ذلك ببعض القصص التي تبرز هذه الفضيلة أو تلك، وذلك بغرض "الترغيب والحث على التحلي بمكارم الأخلاق، ونبذ الرذائل والإقلاع عن سفاسف الأمور إلا أنه لم توجد آنذاك كتب منهجية تدرس الأخلاق دراسة فلسفية نظرية إلا بعد الترجمة التي نبهت الفلاسفة المسلمين إلى ضرورة علاج الأخلاق على نمط فلسفي أشمل، ولم يكن تأخر هذه الدراسات الأخلاقية ذات الطابع الفلسفي راجعًا إلى جدب فكري في عقلية المسلمين بل رجع ذلك إلى أن الحاجة إلى مثل هذه الدراسة لم تكن قد فرضت نفسها بعد؛ ذلك لأن الحياة العملية والتخلق الفعلي كانا يشغلان الجانب الأهم من مفكري المسلمين، وذلك لإعداد القادة الذين يقع على عاتقهم نشر الدعوة، والذين كانوا أحوج إلى العمل منهم

إلى النظر المدقق المحلل"(محمد كمال، 1986م، 242-244)، ومن تلك الكتب التي أُلفت في المواعظ رسائل ابن أبي الدنيا (الذهبي، 1996م، 9/93-95) التي جمع فيها مادة غزيرة من القرآن والحديث الشريف والأشعار والحكم الفارسية والقصص الكثيرة للزهاد والعلماء، وغيرهم لإبراز المكارم الأخلاقية التي يدعو إليها، وسأقوم في هذا البحث بالتركيز على الجانب الأخلاقي عند الماوردي (ابن خلكان، 282/3)، وابن حزم (الذهبي، 1996م، 180-185)، كنموذجين للفلسفة الأخلاقية:

أولًا: الأخلاق عند الماوردي من خلال كتابه أدب الدنيا والدين:

وهو النموذج الأول الذي سنهتم به، في كتابه المسمى: "أدب الدنيا والدين"، ويُعد الماوردي علمٌ من أعلام الفكر الإسلامي وفقيه شافعي، وموضوع كتابه الأخلاق والفضائل الدينية من الناحية العلمية الخاصة، وبعضه في الآداب الاجتماعية، وهو لا يتعرض لأصول الأخلاق من الوجهة النظرية العلمية كالورثة، والبيئة، والغرائز، والأمزجة، والعادة وما إليها، وإنما يعوّل بعد ذلك على التراث الأدبي العربي، والتراث الأجنبي القديم الذي امتزج بآداب العرب في الجاهلية وبعد الفتح الإسلامي، وميزة الماوردي في كتابه المذكور أنه لا يورد النصوص الدينية ولا الحِكم والأمثال والأشعار مقصودة لذاتها بل يذكرها اولًا ثم يُعقب عليها بالشرح والتفسير والاستشهاد، ثم يتصور الموضوع تصورًا عامًا ويضع له الحدود والفصول والمسائل، ثم يقوم باستخلاص الأسس، والقواعد، ثم يحشو هذه الأبواب والفصول بكلامه، وخلاصة بحثه الخاص، ثم يأتي بالنصوص والأحاديث، والحِكم مؤيدًا بها ما يذهب إليه من فكره (مصطفى السقا، 1987م، 197) وسأعرض الآن بعض الأسس الأخلاقية التي وردت في هذا الكتاب باب آداب النفس:

في هذا الباب يقول الماوردي: "اعلم أن النفس مجبولة على شيم مهملة، وأخلاق مُرَسَلة لا يستغني محمودها عن التأديب ولا يكتفي بالمرضيّ منها عن التهذيب لأن لمحمودها أضدادًا مقابلة، يُسْعدها هوىً مُطاع، وشهوةٌ غالبة؛ فإن أغفل تأديبها تفويضًا إلى العقل، أو توكلًا على أن تنقاد إلى الأحسن بالطبع، أعدمه التفويض دَرْكُ المجتهدين، وأعقبه التوكل ندم الخائبين، فصار من الأدب عاطلًا، وفي صورة الجهل داخلًا، لأن الأدب مكتسب بالتجربة أو مستحسن بالعادة، ولكل قوم مواضعه الخاصة، وكل ذلك لا ينال إلا بتوقيف العقل، ولا بالانقياد للطبع، حتى يُكتسب بالتجربة والمعاناة،

ويُستفاد بالدُربة والمعاطاة، ثم يكون العقل عليه قيّمًا، وزكى الطبع إليه مُسلمًا، ولو كان العقل مغنيًا عن الأدب، لكان أنبياء الله –عليهم السلام– عن أدبه مستغنين، وبعقولهم مكتفين، وقد ورد عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (مالك، الموطأ، 1330/5)، وقيل لعيسى بن مريم عليه السلام: «من أدبك؟ قال: ما أدبني أحد، ولكني رأيت جهل الجاهل فجانبته» (الماوردي، 1987م، 197).

** ويقول في باب أداب المواضعة، وبالتحديد في فصلٍ عن المُروءة: "اعلم أن من شواهد الفضْل، دلائل الكرم: المُروءة التي هي حيلة النفوس، وزينة الهمم، فالمُروءة: مراعاة الأحوال إلى أن تكون على أفضلها، حتى لا يظهر منها قبيح عن قصد، ولا يتوجّه إليها ذمّ باستحقاق، روي عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: «من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدّثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يُخلفهم فهو ممن كُمُلتْ مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أُخوته» (القضاعي، 1986م، 144/4)، وسُئل بعض الحُكماء عن الفرق بين العقل والمروءة؟ فقال: «العقل يأمرك بالأنفع والمروءة تأمرك بالأجمل»، ولن تجِد الأخلاقُ على ما وصفنا من حد المُروءةِ منطبعةً، ولا عن المراعاة مستغنية، وإنما المراعاة هي المُروءة لا ما انطبعتْ عليه من فضائل الأخلاق، لأن غُرور الهَوى، ونازع الشهوة يصرفان النفس أن تركَب الأفضل من خلائقها، والأجملَ من طرائقها، وإن سلمْت منها، وبعيدٌ أن تُسلمَ إلا لمن استكمل شرف الأخلاق طبعًا، واستغنى عن تهذيبها تكلفًا وتطبعًا" (الماوردي، 1987م، 277)، والمُروءة كما أرى تمثل جِماع الفضائل الإنسانية، وهي عند الماوردي –وكما تأصلتْ عند العرب– العدلُ وزيادة، وهي اكتساب ومران وعادة، بحيث يكون الهدف الأخلاقي هو وضع النفس في أفضل أحوالها، وتعويدها الترفع عن الملاذّ والشهوات ابتغاء المدح وحذرًا من المذمة...وإذا كان في ذلك مشقة على النفس فإن "الداعي إلى استسهال ذلك شيئان: أحدهما: غُلُوّ الهِمّة، والثاني: شرف النفس، أما غُلُوِ الهمة: فلأنه باعثٌ على التقدُّم، وداعٍ إلى التخصص أَنَفةً من خمول الضَّعة، واستنكارًا لمهانة النقصْ، ولذلك قال –صلى الله عليه وسلم–: «إن الله يُحّب معاليَ الأمور وأشْرفها، ويَكرهُ دنيّها وسَفَاسِفَهَا» (الطبراني، 1983م، 131/3)، وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال: لا تَصْغُرنّ هِمَمَكُم فأنيّ لم أرَ أقعد عن المُكْرمات من صِغر

الهمم... وأما شرف النفس فإنه به يكون قبول التأديب واستقرار التقويم والتهذيب، لأن النفس ربما جمحت عن الأفضل وهي عارفة، ونفرت عن التأديب وهي له مستحسنة، لأنها عليه غير مطبوعة، وله غير ملائمة، فتصير منه أنفر، ولضده الملائم آثرٌ"، وقد قيل: "ما أكثر من يعرف الحق ولا يطيعه، وإذا شَرُفت النفس كانت للآداب طالبة، وفي الفضائل راغبة، فإذا مازجها صارت طبعًا ملائمًا، فنما واستقر، فأما من مُنيَ بعلوّ الهِمة وسُلب شرف النفس، فقد صارت عُرضة لأمور أعوزته آلته، وأفسدته جهالته فصار كضريرٍ يروم تعلم الكتابة، وأخرس يريد الخُطبة فلا يزيده الاجتهاد إلا عجزًا، والطلب إلا عِوزًا ولذلك قيل: «ما هلك أمرؤ عرف قدر نفسه»، وسؤل بعض الحُكماء: من أسوأ الناس حالًا؟ قال: من بَعُدَتْ هِمْتَهُ، واتسعَتْ أُمنيّتهُ، وقصرت آلتهُ، وقلتْ مقدِرَتهُ" (اويس زادة، 1971م، 802-803)، وقيل أيضًا: "أن شرف النفس مع صغر الهمة أولى من علو الهمة مع دناءة النفس، لأنَّ من عَلَتْ هِمَتُهُ مع دناءة نفسه، كان متعديًا إلى طلب ما لا يستحقهُ، ومتخطيًا إلى التماس ما لا يستوجبهُ، ومن شرُفتْ نفسه مع صِغر همتهُ، فهو تارك لما يستحق، ومقصِّر عما يجب له، وفضل ما بين الأمرين ظاهر وإن كان لكل واحد منهما من الذم نصيب، وقد قيل لبعض الحُكماء: ما أصعب شيء على الإنسان؟ قال: أن يعرف نفسه، ويكتم الأسرار، فإذا اجتمع الأمران واقترن بشرف النفس علو الهمة، كان الفضل بهما ظاهرًا والأدب بهما وافرًا، ومشاقّ الحمد بينها مُسَهلة وشروط المُروءة بينهما متينة" (الماوردي، 1987م، 278-280)، ويمضي الماوردي في بيان شروط المروءة في النفس وشروطها في غيرها، فيتحدث عن العفة والنزاهة والصيانة، ويمضي في تقسيمات وتعريفات أخلاقية لكل منها، يضيق بي المقام عن الإسهاب فيها، وإنما حسبُنا مما تقدم أن نستخلص ارتباط الأخلاق كمنهج شخصي بالأبعاد الاجتماعية، والواقعية في حياة الإنسان، وتلحّ فكرة الأخلاق المطبوعة، والأخلاق المصنوعة (المكتسبة) بحيث لا تستغني الأولى عن التهذيب، والتأديب، ولن توجد الثانية إلا بالاكتساب القائم على مغالبة الشهوات والأهواء، مع وضع العقل قيّمًا على النفس وقواها فيما تأتي وما تذر، على أن حُكم العقل ويُسْتمد من شرع الله سبحانه وتعالى ومنهجه السامي إلى الإنسان، وهو في حديثه عن المروءة كخلق جامع مانع لمحامد السجايا يبيّن أن أساسها العقل، ووسيلتها التكلّف لرفيع الخصال، وذلك بالمعاناة والتجربة؛ وهو يرى أن الفضيلة في العلم أولًا ثم الممارسة الأخلاقية فكأنه ينقض النظرية السقراطية القائلة: «أن الفضيلة علم، والرذيلة جهل»، فالنفس تعرف الحق لكنها قد تحيد

عنه، ولا يتأتى لها الخُلق القويم إلا بعلو الهمة وشرف النفس فتمارس الفضيلة بقدر الجُهد المبذول للوصول إلى الغاية المثلى.

ثانيًا: الأخلاق عند ابن حزم الأندلسي من خلال كتابه مداواة النفوس، وتهذيب الأخلاق:

وننتقل الأن إلى ممثل آخر للأخلاق وهو الإمام ابن حزم الأندلسي، يُعد كتابه (مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق) كتابًا قيمًا في بابه، وهو خُلاصة تجاربه في الحياة حيث أطال فيه ابن حزم الوقوف على خفايا نفوس البشر، فاستقامتْ له الأخلاق في أرقى معانيه وأجلها، وتسلسلت في الحِكمة حروفًا عذبة من نور لا يفوت الداعي إلى الأخلاق التوقف على دراستها، والعمل بما جاء فيها...يقول ابن حزم في نصٍّ جمع فيه حدود العقل وتعريفات الخِصال الفاضلة: « بذل الواجبات فرضٌ، وبذل ما فضل عن القوت جود، والإيثار على النفس من القوت بما لا تهلك على عدمه فضل، ومنع الواجبات حرام، ومنع ما فضل عن القوت بُخل وشُحْ، والمنع من الإيثار ببعض الوقت جشع، ومنع النفس أو الأهل، القوت أو بعضه نتْن ورذالة ومعصية، والسخاء بما ظَلَمْتَ فيه، أو بغير حقه ظلم مكرّر، والذم جزاء ذلك لا الحمد، لأنك إنما تبذل مال غيرك على الحقيقة لا مالك، وإعطاء الناس حقوقهم مما عندك ليس جودًا ولكنه حق» (ابن حزم، 2009م، 104-105)، ويقول في نصٍّ أخر يقول: «حد الشجاعة: بذل النفس للموت عن الدين أو الحريم أو عن الجار المضطهد وعن المستجير المظلوم، وعن الهضيمة ظلمًا في المال والعرض، وسائر سبيل الحق سواء قلَّ من يعارض أو كثر، والصبر عما ذكرنا جبن وخور، وبذلها في عروض الدنيا تهورٌ وحمق، وأحمق من ذلك من بذلها في المنع من الحقوق والواجبات قِبَلك أو قِبَل غيرك، وأحمق من هؤلاء كلهم قومٌ شاهدتهم لا يدرون فيما يبذلون أنفسهم، فتارةً يقاتلون زيدًا عن عمرو، وتارةً يقاتلون عمرًا عن زيد، ولعل ذلك يكون في يوم واحد فيتعرضون للمهالك بلا معنى فينقلبون إلى النار أو يفرون إلى العار.... » (ابن حزم، 2009م، 105)، ويقول أيضًا: « حد العفة: أن تغض بصرك، وجميع جوارحك عن الأجسام التي لا تحلُّ لك، فما عدا هذا فهو عُهْر، وما نقص حتى يمسك عما أحلَّ الله تعالى فهو ضعف وعجز، وحد العدل: أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه، وحد الجور أن تأخذه ولا تعطيه، وحد الكرم أن تعطي من نفسك الحق طائعًا، وتتجافى عن حقك لغيرك قادرًا، والجود أخصّ، فالحلم فضلٌ وليس جودًا، والفضل فرض

زادت عليه نافلةً» (ابن حزم، 2009م، 106)، ويقول عن علاج العُجْب كَخُلُقٍ سيئ من أخلاق النفس: « من امتُحِنَ بالعُجب فليفكر في عيوبه، فإن أُعْجب بفضائله فليفتش ما فيه من الأخلاق الدَّنِيَّةِ، فإن خُفيتْ عليه عيوبه جُملةً حتى يظن أنه لا عيب فيه، فليعلم أن مصيبته إلى الأبد، وأنه أثمّ الناس نقصًا، وأعظمهم عيوبًا، وأضعفهم تمييزًا، وأول ذلك أنه ضعيف العقل، جاهلٌ، ولا عيب أشد من هذين، لأن العاقل هو من ميَّز عيوب نفسه فغالبها، وسعى في قمعها، والأحمق هو الذي يجهل عيوب نفسه، إما لقلّة علمه وتميزه وضعف فكرته، وإما لأنه يقِّدر أن عيوبه خِصال جمع خصلة، وهي فضيلة كانت أو رذيلة (الطاهر الزاوي، 1981م، 182)، وهذا أشد عيب في الأرض، وفي الناس كثيرٌ يفخرون بالزنا والسرقة والظلم، فيُعجب بتأتّي هذه النحوس له، وبقوَّته على هذه المخازي» (ابن حزم، 2009م، 155)، ويقول: «ينبغي للكريم أن يصون جسمه بماله، ويصون نفسه، ويصون دينه بعرضه ولا يصون شيئًا أصلًا» (ابن حزم، 2009م، 155)، وهنا يمكننا أن نضع مميزات لفلسفة ابن حزم الأخلاقية، حيث تتمثل في دقته البالغة في التفريق بين حدود الفضائل بعضها وبعض، وبين حدود الرذائل بعضها وبعض، كما يبدو عُمق وخصب التجربة الأخلاقية المستمدة من اتصال الإنسان بالواقع المُعاش، وفق ذلك تتجلى خبرته بخفايا النفوس وبواعث السجايا، وان كان ما ذكرنا يفتقر إلى الإطار العلمي ولنظرية المتكاملة، ولكن ما سيمات الأخلاق عند المسلمين؟.

*السِمات العامة للأخلاق الإسلامية:

ومن خلال هذه النصوص نستطيع أن نتبيّن السِمات العامة للأخلاق في بدايتها المنهجية عند المسلمين والتي تركزت في ما يأتي:

السِمة الأولى: أنها أخلاق دينية، قامت على الاقتداء بالشرع ونصوص القرآن والسُّنة كدستور أخلاقي، وتكليفي مقدس.

السِمة الثانية: أنها أخلاق عقلية، فلم تكن أخلاق عاطفة أو حس، وإن لم تَخْل أحيانًا من هذه النزعات، إلا الغالب عليها هو إرجاع الفضيلة والرذيلة إلى منهج عقلي حاكم يأتمر صاحبه بأمره، وينتهي عن نواهيه في قناعة ورضا.

السِمة الثالثة: أنها كما ذكرنا آنفًا كانت أخلاق عملية لم تَحْفل بالتحليل الفلسفي والنظري للأسس الأخلاقية، ولم تكن ترفًا عقليًا محضًا، بل ارتبطت بحاجة الواقع الفعلي للمشكلات الأخلاقية، وقامتْ على السلوك المباشر البسيط في توخّي الفضائل، وتوقّي الرذائل، وارتبطت الغاية الأخلاقية إلى حد كبير بمدى ما تحققه الأفعال من النتائج الخيّرة مع الفارق بينهما وبين البرجماتية في أن البرجماتية تعتبر أن النتائج هي المعيار الوحيد لقيمة العمل، بينما الإسلام يُعلّمنا أن النتائج شرط لاكتمال قيمة العمل وبلوغه غاية الفضيلة، وفي الإسلام النتائج شرط ضمن الشروط، لا الشرط الوحيد والحاسم، فإذا تحققت شروط الحرية والنية والعمل، ثم جاءت النتائج غير مفيدة للآخرين الفائدة المستهدفة فإن العمل لا يفقد كل فضيلة (ابن حزم، 2009م، 135)، ويرتبط بهذه السِمة العملية أنها كانت أخلاق وصايا وتجارب، ولم تكن أخلاق نظريات وتأملات، وهو ما ظهر في نصوصها من إحكام الجرس، وبلاغة العبارة، وتأثيرها في السمع.

السِمة الرابعة: أنها كانت أخلاق تقويمية علاجية وضعت حدودًا للرذائل وسارت في هذا الإطار في محاولة لتهذيب النفس والسمو عن المذمة وقبيح السجايا ... ولكن ما هي أقسام المنهجية الإسلامية؟.

*أقسام الأخلاق المنهجية الإسلامية: تحدثنا آنفًا عن الأخلاق الإسلامية من حيث مصادرها وخصائصها والآن نأتي لذكر أقسام هذه الأخلاقية المنهجية والمتمثلة في ثلاثة ميادين (محمد كمال، 1986م/112-113) هي:

أولًا: ميدان علم الكلام وما ظهر فيه من الفرق الإسلامية ممن اتخذوا الإسلام نقطة البدء، فأسسوا له الأدلة العقلية دفاعًا عنه، موضحًا الآراء خصومه، وقد اقتصروا في بعض الأحيان على المجال النظري، ثانيًا: ميدان الفلسفة التقليدية، وهو المنهج المدرسي المنظم، وعلى رأس فلاسفته الفارابي، وابن سينا وغيرهما ممّن اعتمد على الفلسفة اليونانية أو الأفلاطونية المحدثة واقتصر في الغالب على الدراسة النظرية، ثالثًا: ميدان التصوف، وهو ميدان السلوك الأخلاقي المؤسس على الوجدان الديني والتجارب الروحية المتسامية.

النتائج والمناقشة:

لقد حاولت من خلال هذا البحث الذي يقوم على دراسة وتحليل الموضوع الذي نحن بصدده وفي هذه الخاتمة أود أن التأكد على جملة من النتائج وهي:

القرآن الكريم هو أول وأكبر مصدر للأخلاق الإسلامية قاطبَة، وبالرغم من أنه ليس كتابًا فلسفيًا بصفة خاصَة إلا أنه قد جمع في سوره وآياته ما يغني البشر عن أكبر النظريات الفلسفية سواٌء منها الصورية أم الوضعية.

السُّنة النبوية تُعد المصدر الإلهي الثاني، وعليه فإنها نهاية النهايات، وأكمل الدرجات في الأخلاق النظرية، وهي مثال "الخير الأسمى"، ومثال الخير الأسمى يُعد جِماع، وتجريد، وتنقية لكل الخيرات النسبية الأخرى سواء ما اتصل منها بمفهوم "اللذة" أو "المنفعة" أو "السعادة" أو ما شاءت المذاهب الأخلاقية أن تسمية غير ذلك، فإذا قدّرنا أُنمودجًا عمليًا محسوسًا في حياة البشر، فهو ولا ريب أنموذج الأخلاق العملية في النبوة الخاتمة، ولا نعني به أن يكون الكمال في إطلاق المعنى، ولكنه "التكامل".

الجزاء يقتضي العدالة وبالعكس وهما يجعلان للأخلاق معنى وقيمة عُليا، وبدونهما تفقد الأخلاق معناها وبريقها فتصبح غير مهمة، وعلى ذلك فإن كانت الحرية تستلزم الجزاء أيضًا، وذلك بصرف النظر عن ماهية الجزاء، وكونه عاجلًا وأجلًا.

إن الحاسة الخُلقية انبعاث داخلي فطري، وأن القانون الأخلاقي قد طُبع في النفس الإنسانية منذ نشأتها، وأن القرآن قد تضمن أنواع من المسؤولية وهي: المسؤولية الدينية، المسئولية الاجتماعية، المسئولية الأخلاقية المحضة.

المسؤولية هي نتيجة طبيعية للإلزام، فإن الجزاء نتيجة طبيعية لها، والجزاء من حيث إنه أساس أخلاقي له أهمية الأسس الأخرى، بل إن أهميته مزدوجة فهو مهم باعتباره سببًا في التمسك بالخير الأسمى، فالجزاء يقتضي العدالة وبالعكس وهما يجعلان للأخلاق قيمة عُليا، وبدونهما تفقد الأخلاق لمعانها فتصبح غير مهمة.

لقد كانت الاخلاق دينية، قامت على الاقتداء بالشرع ونصوص القرآن والسُّنة كدستور أخلاقي، وتكليفي مقدس، وأنها أخلاق عقلية، ولم تكن أخلاق عاطفة أو حس، وإن لم تَخْل أحيانًا من هذه النزعات، إلا الغالب عليها هو إرجاع الفضيلة والرذيلة إلى منهج عقلي حاكم يأتمر صاحبه بأمره، وينتهي عن نواهيه في قناعة ورضا.

**التوصيات:**

الانصياع التام للقرآن والسنة وجعلها دستورًا أخلاقيًا، والاهتمام دائمًا بمصادر الاخلاق الاسلامية والاعتماد عليها، وتعريف طلبة العلم بأهميتها، والتعريف التام بالمسئولية الأخلاقية والالزام الاخلاقي.

المصادر والمراجع:

1- أحمد بن حنبل، في مسنده، ط1، عالم الكتب، بيروت لبنان، سنة1998م.

2 - البخاري، صحيح البخاري، دار الطوق، دمشق سوريا، ط1، سنة1422هـ.

3- أويس زادة، منهاج اليقين، وشرح أدب الدنيا والدين، تح/ محمد العزازي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط2، 1971م.

4- توفيق الطويل، فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها، ط2، دار النهضة العربية القاهرة، مصر، سنة1979م.

5- الترمذي، السنن، تحقيق/ أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط1، سنة1977م.

6- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، سنة1994م.

7- ج. م. جوير، الأخلاق بلا إلزام، ولا جزاء، تر/ سامي الدروبي، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، سنة1964م.

8- أبو حامد الغزالي، الإحياء، دار السلام، القاهرة، مصر، ط5، سنة2007م.

9- الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق/مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، سنة1990م.

10- ابن حزم، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، تح/ إيفا رياض، تع/ عبد الحق التركماني، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط3، سنة2009م.

11- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ط1، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، سنة 1970م.

12- الدارقطني في سننه، تح/ شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط1، 2004م.
13- الدارمي، السنن، دار الكتاب العربي، القاهرة مصر، ط2، (د-ت).
14- أبو داوود: السنن، تحقيق عزت عبيد وعادل السيد، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط1، 1997م.
15- الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنوؤط، محمد نعيم العرقسوسي، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، سنة 1996م.
16- زين العابدين الشيبي، الأصول الخمسة عند المعتزلة وموقف السلفيين منها، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية، سنة 1977م.
17- زكريا ابراهيم، الفلسفة النقدية، دار مصر للطباعة، القاهرة، مصر، ط2، 1973م.
18- الشهاب القضاعي في مسنده، تح/ حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط2، سنة1986م.
19- الشوكاني، تفسير فتح القدير، دار ابن كثير، بيروت لبنان، ط1، سنة1414هـ.
20 - الطاهر الزاوي، مختار الصحاح، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط1، سنة1981م.
21- الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق/حمدي عبد المجيد، مكتبة العلوم والحكم، الموصل العراق، ط2، سنة 1983م.
22- الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق/ طارق بن عوض، دار الحرمين، القاهرة، سنة1415هـ.
23- عثمان أمين، الجوانية/ أصول عقيدة وفلسفة ثورة، دار القلم، بيروت لبنان، سنة1964م.
24- فيصل عباس، موسوعة الفلاسفة، ط1، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، سنة 1996م.
25- مالك بن أنس، الموطأ، تع/ فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط2، سنة1985م.
26- ابن ماجة، السنن، تحقيق/أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، سنة1986م.
27- الماوردي، أدب الدنيا والدين، تح/ مصطفى السقا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط3، سنة1987م.
28- محمد حسين الذهبي، أثر الحدود في استقرار المجتمع، دار الاعتصام، القاهرة، ط1، سنة 1978م.

29- محمد عبدالله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، ترجمه عن الفرنسية، د/ عبد الصبور شاهين، مراجعة/ د. السيد محمد بدوي، دار البحوث العلمية، ط1، القاهرة مصر، سنة1980م.
30- محمد كمال، في الفلسفة والأخلاق، دار الكتب الجامعية، الاسكندرية، مصر، ط1، سنة1986م.
31- محمد يوسف موسى، الفلسفة الأخلاقية وصلتها بالفلسفة اليونانية، ط1، مطبعة الخانجي، مصر القاهرة، سنة1953م.
32- مسلم: الصحيح، تحقيق/أحمد شمس الدين، الدار العلمية بيروت، ط1، سنة 1998م.
33- مصطفى السقا، مقدمة كتاب أدب الدنيا والدين، للماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط3، سنة1987م.
34- النسائي: السنن الكبرى، تحقيق/عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، سنة1991م.
35- نازلي اسماعيل، فلسفة القيم، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة مصر، ط2، سنة 1978م.

# Islamic ethics, its sources and most important characteristics

**Noureddine Ashour Ahmed Aldoukali**
Department of philosophy, Asmarya University, libya

**Abstract**

The important aspect in Islamic ethics is that it is stemmed from metaphysical principles or beliefs represented in religion. If Aristotle had ruled out morals from metaphysics and relied on observable facts, since reality is the focus of his philosophy and morals' approach is specific and practical, there is no room, then, for saying that morals are based on metaphysics or religion and there is no relationship between morals and absolute good. If this is the case in Aristotelian morals, our Islamic ethics, then, have stemmed from religion and took into account the practical part and worldly goods that address man as a human being. So Islamic ethics were established from the metaphysics of belief in the oneness of the Almighty Creator and his absolute majesty and perfection. Also, Islamic ethics were codified for the practical reality based on sense and reason, through which Islamic ethics were distinguished from other ethics. Hence, there was an urgent need to intensify studies and research to serve these ethics and to show their originality and comprehensiveness.

In modern philosophical thought, positivist studies have appeared trying to separate religion from morals, claiming that the dominance of these sciences was the beginning of their progress. There is nothing worse than the independence of morality from religion. We are not here, though, to discuss this topic and its shortcomings, but rather we decide in general that religion does not only represent a belief related to human destiny but also it explains the purpose of human creation and its role in life. As a Muslim researcher interested in issues of Islam and Muslims, I do care, in the first place, that religious morals be a framework and doctrine in the constitution of our Islamic society and the motive for its prosperity and development.

**Keywords:** morals - penalty - obligation - duties - responsibility - law .